مجلة المجلات

للاب توتل اليسوعي

الانتحار

قضى الرجل نحبه ، مأسوفاً عليه ! لكنه لم يمت حتف انفه ، بل انتحاراً . هل طوّح به الغرور واستهواه شبح رئيس بلدية كورك الارلندي الذي اضرب عن الطعام فمات جوعاً فداء حرية بلاده ؟ وما كان احرى سعدون بان يصبر على الشدائد صبر زغلول فينال ما ناله زغلول من الظفر لبلاده ! لو شرب زغلول السم زعافاً في جزائر سيشيل ، هل كان بلغ صوته عنان السماء ، حتى ماجت له الجماهير المصرية ، ودوّت له الافاق ، فزعزع الشاد البريطاني واضطره الى التداول مع مصر مداولة الزميل مع الزميل تغريباً .

قال الحارس (١٩٢٩ ، ص ١٤٦) :

عندما انتحر الوزير العراقي كتب الى مجله الدارس في انكلترا رسالة يشرح بها الاسباب ، وكلها سياسية . فقال ان بلاده تطلب استقلالها ، لكنها ضعيفة عن نيله ، والانكليز يعرفون ضعفها فلا يلبون طلبها ، وهو ان ينصح شعبه بالتروي يتهمه الشعب الجاهل بمالأة الانكليز . فرأى ان يريح نفسه من هذا الطريق الشاق

هذا التعليل من الرجل الكبير الراحل يدل على حراجة مركزه وعلو نفسه . لكنه لا يعلل النقطة الجوهرية التي نبحث عنها في الانتحار . فهو لو افتكر مثلاً كما نحن الآن نفتكر لرأى ان التنحي المجرد عن الوظيفة وعن السياسة برمتها كاف لتخليصه من ذلك المركز الحرج

لان كثيرين غيره وجدوا في مثل مركزه فحلوا المشكل بمحض التنحي عنه ، لا بالتنحي عن الوجود ، لاسيما انه رب عائلة وقد رجا من ولده ان يعتني بها بدلاً منه

وعلى كل منتحر في العالم يمكننا تطبيق هذا الرأي . فالانسان باتي الى الدنيا بغير مشورته ، ولهذا كان اعتقاده انه حر في مغادرتها ايان شاء اعتقاداً فاسداً ، فهو لم يجئ مختاراً حتى يذهب مختاراً ، وكما لا يجوز له ان ياخذ حياة سواه هكذا لا يجوز له ان يأخذ حياته

فضلاً عن الديون التي تقع عليه يوم تبصر عيناه النور . فالحياة التي تمتع بها . والعيش الذي عاشه بالاكل واللبس وسائر وسائل الراحة والتنزه من كل ما يرى وما لا يرى . هذه ديون عليه يجب ان يقوم بوفائها مع الفائدة القانونية . يجب ان يفعل للكون اكثر مما فعل الكون له وليس التقصير بعد السعي عيباً . لان الدنيا تطلب السعي فقط . وقد قال الشاعر :

على المرء ان يسعى الى الخير جهده وليس عليه ان تتم المقاصد »

الوهابيون والخلافة

بلغتنا اخبار بلاد العرب ، متقطعة ، متناقضة . تمر الينا يوماً فيصل الدويش ؛ وتحدثوا ، بعد ذلك ، بزحفه في نجد على قوات ابن سعود . اما هذا فلا يزال مواظباً دعايته الى المذهب الوهابي ، فينسب الى المتروج عنه وبلاته المسلمين ، ويتذرع بمبادىء ليسالج مشكل الخلافة ، ولا يخفي ميله الى الانكليز ، وهو لا يطالب بالخلافة لنفسه صريحاً ، ولكن القارىء يفهم من خلال الحديث ، ان الامير الوهابي الاعظم «بطل الاسلام» كما تدعوه « الاصلاح » لن يمانع في قبول الخلافة اذا عرضت عليه . جاء في الاصلاح (١٩٢٩ ، ص ١٢٤) من محاضرة للشيخ حافظ وهبه في الجمعية الاسيوية بلندن :

لئن كانت نجد الى ما قبل الحرب العظمى تعتبر سياسياً ودولياً تابعة للحكومة العثمانية ، فان النجديين لم يكونوا في الواقع يعترفون بسلطة الاتراك الدينية ولا بخلافتهم ، وان لم يجاهروا بذلك . فلم يكن العثمانيون في نظر النجديين حاملي لواء الدين الحقيقي ، ولا قائمين باحكام الشريعة الاسلامية كما كان يطلب منهم كزعماء الخلافة الاسلامية التي هي نيابة عن الرسول (صلعم) في المحافظة على شعائر الاسلام ومصالح المسلمين . فقد التوا الحدود الشرعية كلها تقريباً ، ولم يتمسكوا من الاسلام الا بالقشور . وقد كانوا حماة لكثيرين من دعاة البدع كالبقطاشية والمولوية ، وغيرهم ممن كانوا وصمة عار في جبين الاسلام

ولقد رددت الصحف ولاكت الالسن ان امام الوهابية الملك عبد العزيز ابن السعود من الطامعين في الخلافة أو الراغبين فيها . ولكن الواقفين على طبيعة هذه الجماعة وعلى اخلاق امامهم يستبعدون هذا بل وينكرونه ، ذلك لان المسلمين الآن ليسوا بالحالة التي كانوا عليها في عصر الخلافة الاولى . فقد كانوا في الماضي حكومة واحدة مركزية ، ولذا كانت الخلافة تمثل رئيس هذه

الحكومة الذي يستطيع ان يحميها ويدافع عنها في كل قطر من الاقطار . وكانت البيعة في ذلك العصر تماثل — من كافة الوجوه — ما يسمونه الآن باجماع الشعب على اختيار رئيسه . وهو اجماع اهل الحل والعقد على اختيار الخليفة.

اما الامم الاسلامية الآن فيتقاسمها نفوذ كثير من الدول . ولا سلطة للخليفة ، لا فعلية ولا صورية . فالخليفة في الوقت الحاضر لا يكون الا مجرد زعيم صوري لعهد لا وجود له . ولذا فالملك ابن السعود يأبى ان يكون هذا الزعيم . ويرى ان الخلافة عبء ثقيل قد تجر عليه مشاكل هو في غنى عنها»

دفع الاذى بالعار

جاء في مجلة «الانسان» Man (اوكتوبر ١٩٢٩ ، ص ١٦٩) بتوقيع والتركلين

كنت في الربيع الماضي على ساحل بلاد العرب الجنوبي انتقل بين عدن ومكلا والشحر ، فاخبرني احد العرب عن عوائد اجتماعية ألفوها في تلك البلاد ولا اظن احداً سبقني الى الكتابة عليها. ومن تلك العوائد ما يسمونه «العزل» وهي وسيلة يتذرعون بها لدفع الاذى بالعار اذا وقع احدهم بضيقة ، وحرج ، وخاف على نفسه من نقمة عدو او خصم مريد قتله ، اخذ بارودته وخنجره وساق شاة لذبيحة دينية ، واصطحب بابنته او بامرأته ، ومضى الى بيت الزعيم المرجوة منه حمايته . فينحر البهيمة على الباب ويطلق بارودته في الفضاء ، حتى اذا اجتمع القوم حوله يلقي ابنته او امرأته على الحضيض ورأسها مستند الى الجثة الدامية ويعلن على رؤوس الملا انه اصبح عبداً ذليلاً لصاحب البيت ، ويقدم له المرأة حليلة . فيأتي صاحب البيت ويرفع المرأة حتى اذا نهضت يقول: «وهبت حمايتي» فيدخل حينئذ اعيان القرية وسكانها بيت الزعيم فيولم لهم وليمة . اما الشاة المذبوحة فلا يأكلها الا الخدم.

ومن البديهي ان مثل هذه العهود لا تعقد ما لم يختلسها المستجير اختلاساً ، ليذبح الشاة على باب صاحبه قبل ان يتاح للرجل رفض الحماية . وقد يتذرع فقاتل بتلك الحيلة ليحصل على مصالحة اهل القتيل . ولكن الصلح لا يدوم

الا اشهرًا معدودة ريثما يتسنى للقاتل الجلاء عن البلاد ، او لـذويه التدخل في الامر طالبين العفو . ومن البديهي ايضاً ان هذه العادة تجر معها فضيحة المستجير ، وقد ادخل احدى نسائه في ضيافة رجل آخر ، فيوسم بسمة العيب والعـار . ولذلك لا يلجأون الى مثل هذه الوسائل الا مضطرين .

على ان العار كل العار يلبس الرجل الذي ، اذا قصد في مثل هذه الظروف ، يرفض اجارة المستجير او يقطع عهوده معه بعد ان يكون قد قبله في حماه

هذه طريقة من الطرائق التي يسلكونها في بلاد العرب وفي شمالي افريقية «توقياً من الاذى بالعار» انما هي تتميز بثلاثة اشياء : بالذبيحة الدموية ، وبتصرف الرجل بالمرأة كما وصفناه ، وبواجب الضيافة من قبل الزعيم . . .

الالعاب الرياضية ومضراتها

في « المراسل » الافرنسي (Le Correspondant) (١٠ ايلول ١٩٣٩ ، ٧٣٨) مقال ممتع في الالعاب الرياضية الى فيه صاحبه بنظرات ثاقبة على مجرى تلك الالعاب في اوروبا ، وخاصة بين الانكلوساكسون والافرنسيين ، فتعرب عن استحسانه للالعاب وهو ممن مارسوهـا وتفوقوا بها ثم تطرق الى وصف مزاياها وما تؤدي اليه من النتائج النير المحمودة ان حلت في غير مكانها من الاهمية . فضحك ممن اهتموا بمبـاروزة كربتر ودمبي اهتمامهم بمبـارزة نابوليون ووالينكتون في واترلو ، وسخر بالمعاهد العلمية المفاخرة بتفوق اساتذتها بالمسابقات على الزوارق في البحر قبل مفاخرتها بعلمهم ، وبالاهتمام بالتباريات بتغذية اطفالهن طعماً بان يغلب ولدهن غيره بلونه الوردي واعضائه المسمنة ، وهجا على الاجمال افراط المتمدنين بدنهم عناية اشبه منها بالعبادة ، المضحين في سبيل ملوله وعرضه وشكله المواهب التربوية المعدة فيهم اولاً لاعمال النفس . على ان الجسد انما هو خادم النفس فلا بـد له من الصحة والعافيـة للقيام بخدمتها . وقد تساعد الالعاب الرياضية على الصحة البدنية كثيراً بدفع الانسان الى العيش في الهواء المنعش ، المحرك الدم ، المقوي مزاوج الصدر ، الدافع النشاط في الاعضـاء . ولكن تلك الالعاب لا تبلغ المرام الكامل ما لم تروض النفس مع الجسد . ان ميادين لعب كرة القدم على سعتها تفسح مجالاً في العالم الادبي افسح وارحب من الحدائق الصغيرة تدعو فيهـا اللاعبين الى ممارسة الفضائل والفوائد الحميدة من صبر وثبات على التعب ، وحذاقة في الرمي ، وفطنة في استنتاج الفرص ، ولباقة في البروز ، وكرم بالطبـاع ، وحلم مع الخصم وقمع النفس في سورة الغضب ، وغير ذلك مما تتقدم الى رؤساء المعاهد العلمية بادخال تلك الالعاب برامج تعليمهم .

ذلك هو وجه الالعاب الوضاح البهيج ولكن لها وجه آخر عبوس قاتم مشؤوم لفت اليه الكاتب نظر القراء ليتجنبوا شره . قال :

«حلة الالعاب جميلة في رونقها وبهجتها ودعتها . فـاذا بدلت تلك الحـلة

بثوب الجدّ ، والبست اللاعبين درع المشاحنة والبغضاء ، قسمتهم حزبين متناوئين.

نعم ، لا بد من الرغبة في الظفر عن حماسة ونشاط ؛ والّا ، لهمدت الهمم : ولكن ، اذا جاوزت تلك الرغبة الحدّ المعقول ، حطّت من سمو العواطف . فتى وفتاة يلتقيان من طرفي شبكة كرة الراحة[1] ، لعبت الفتاة وهي اخف من الفتى ، فاضنكها التعب قبله ، وها هي تبطئ في الحراك وتخطئ المرمى. اما الشاب ، وهو ابن عمها ، فلم تخطر على باله عاطفة شفقة ولا كرم ، بل عاجلها بضربة قاضية ، مستنتجاً الفرصة ، مفاخراً بقول القائل : حكم سيوفك في رقاب العذّل . . . فبئست المباجلة وساءت البطولة المشينة الدافعة الى البطش بالضعيف.

اما لعب كرة القدم فلا يدور دوره حتى تبرز فيه مظاهر الخشونة والتوحش : من ساقط مكسور الرجل ، الى مصاب بلطمة على رأسه ، الى منطوح بصدره ، الى مصروع في التراب ، مَدوس ومغشّى عليه . لعمري ! هل ينقص تلك المعمعة سوى الخنجر او المدس لتنقلب الى معركة دموية ؟

ومن المدهش ان الناظرين يتحمسون للاعبين . وقد تضرب حمية اللعب على بصيرتهم غشاوة ، فيفقدون صوابهم ، حتى انك لترى الشاب الاديب او الفتاة المهذبة واقفين على قدميهما مشرأبين الى المتباجلين ، مندفعين الى الهتاف والصخب والسبّ ، كما لو كانا قد تركا على باب الملعب آداب المعاشرة . وربما طارت شرارة من معمعة اللعب فانتقلت الى مصافّ الناظرين واضرمت بينهم نار منافسة عنيفة ادت الى المضاربة والملاكمة ونالت من بعضهم جراحاً بليغة

فمن الواجب اذن المحافظة على اصول اللعب الادبية ، لئلا يخطي غايته العظمى وهي ترويض النفس ، ويفقد رونقه وبهاءه

---

(١) عربنا jeu de tennis بكرة الراحة كما اضم عربوا foot ball بكرة القدم . ومن المعلوم اضم في اللعب الاول يستعملون آلة يسمونها raquette فان نحن سمينا تلك الآلة « راحةً » رددناها الى اصلها.

جاء في ملحق قاموس ليتره في مادة raquette دخلت اللغة الافرنسية من اسبانية وايطالية والبرتغال : raqueta او rachetta ، وهي في اصطلاحهم الكف او اليد من وجهة انقباضها ، وكانوا يلعبون بالكرة باليد او بالراحة . »